الباب الأول
سنن الأنبياء فى التوبة

الفصل الأول : سنة آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى التوبة.

الفصل الثانى : سنة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى التوبة.

الفصل الثالث : سنة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى التوبة.

الفصل الرابع : سنة يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى التوبة.

الفصل الخامس : سنة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى التوبة.

الفصل السادس : سنة داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى التوبة.

الفصل السابع : سنة سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى التوبة

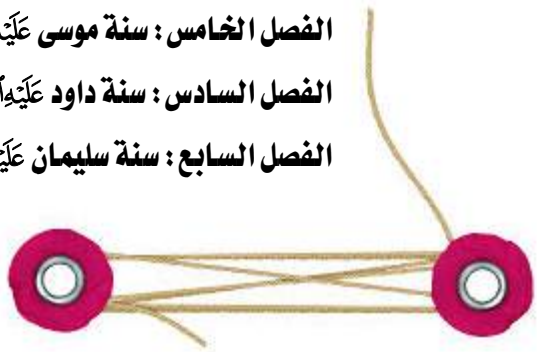

الفصل الأول

سنة آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فى التوبة

فى البداية نلقى نظرة على قصة آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ثم نبحث – من خلال آيات الله – عن سنة آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فى التوبة، ونستخرج منها ما ينفع الأخوات – الصغار والكبار – فى حياتهن، ونقرب الآيات لمواقف حياتية ملموسة ، ونتعلم من سنة آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ خمسة مناهج على طريق التوبة، وهى: الإحساس بالذنب والعلم به، الاعتراف بالذنب، عدم اتباع الهوى، اتخاذ الشيطان عدوًا، الثبات وعدم النسيان.

نظرة على قصة آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ

قال ﷺ: "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب، والسهل والحزن وبين ذلك" [رواه أحمد عن أبى موسى الأشعرى](١).

وقال الله للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة:٣٠]، وقال لهم: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢﴾[ص]، وقال ﷺ: "خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها" (٢).

وعلم الله تعالى آدم الأسماء كلها، وأمر الملائكة بالسجود له، فسجدوا جميعًا إلا إبليس – استكبارا منه وكفرًا بنعمة الله وقدرته – وجعل الله لآدم زوجة وأسكنها معه فى الجنة، فتمتعا بها، وأمرهما الله ألا يقربا شجرة فيها، إلا أن الشيطان وسوس لهما، وأقسم لهما أن يكونا من الخالدين إذا أكلا من هذه الشجرة، وكانت نيته أن يظهر ما أخفى عنهما من عورة. وقد

---

(1) أحمد (٤ / ٤٠٠)، وأبو داود فى السنة (٤٦٩٣)، والترمذى فى التفسير (٢٩٥٥)، وقال: "حسن صحيح"، وصححه الشيخ الألبانى.

(2) مسلم فى الجمعة (١٧/٨٥٤)، وأبو داود فى الصلاة (١٠٤٦)، والترمذى فى أبواب الصلاة (٤٩٠).

حذرهما ربهما من الشجرة ومن الشيطان، ومما سيلاقياه من شقاء وتعب إذا لم يطيعا ربهما .. ونسى آدم أمر ربه فغوى بغواية الشيطان.

فلما أطاعا الشيطان وأكلا من الشجرة بدت لهما سوآتهما، وأخذا يغطيان عوراتيهما بورق الشجر، فأحسا بالذنب، وعلما أنهما قد عصيا ربهما ونسيا أوامره، واعترفا بالذنب وقالا: ربنا ظلمنا أنفسنا، وطلبا المغفرة والرحمة من الله – عز وجل.

فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه، وخرجا من الجنة ، إلا أن الشيطان طلب من ربه أن ينظره إلى يوم البعث والحساب، وتوعد بنى آدم بالغواية إلا الصالحين؛ فليس له عليهم سلطان، ووعد الله – عز وجل – آدم وزوجه وذريتهما، بأنه سيأتيهم بالهدى، وأنه من اتبع هذا الهدى لا يضل ولا يشقى.

الآيات التى سننطلق منها لاتباع سنة آدم فى التوبة:

قال تعالى فى سورة طه: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾[طه] للإحساس بالذنب.

وفى سورة الأعراف: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف] للاعتراف بالذنب.

وفى سورة الأعراف: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[الأعراف:٢٤].

وفى سورة الأعراف: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾[الأعراف] لاتخاذ الشيطان عدوًّا.

وفى سورة البقرة: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾[البقرة] لاتباع هدى الله.

وقال تعالى فى سورة طه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾[طه] لعدم النسيان.

الإحساس بالذنب والعلم به :

لقد أحس آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وزوجه بالذنب بعدما بدت لهما سوآتهما، فأحسا أنهما عصيا ربهما.

فكما جعل الله لنا الألم إنذارًا لوجود مرضٍ، فيلجأ الإنسان إلى الطبيب لوصف الدواء، فإن بعض المصائب والهموم والأحزان، وحالة الإنسان من فقر أو غنى ونجاح أو فشل، ربما تكون إنذارًا لمعصية، فهنا واجب علينا الإحساس بالذنب، واللجوء إلى الله بالتوبة والاستغفار، وكلما كان سريعًا كلما كان الشفاء بإذن الله مرجوًّا. وأخبرنا الرسول محمد ﷺ أن كل أمر المؤمن خير له، وتعجب لذلك؛ فإذا أصابه سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له [١]، ولنأخذ أمثلة مما يقع فيه البنات مع أنفسهن ومع الله ومع الناس من معصية.

مع النفس: «كثيرة الظن بالناس، متوترة، سريعة الاستثارة، لا أثق بنفسى، أكره فعل الخيرات».

مع الله: «أؤدى الصلاة كعمل روتينى بلا خشوع، لا يستجاب لى دعاء، ولا أحصل على درجات عالية رغم مجهودى ودعائى، لا أعطف أو أتصدق على اليتيم أو الضعيف».

مع الناس: «يحجم كثير من البنات عن مصادقتى، أمى كثيرة اللوم لى، أبى لا يثق بى وبما أقوله له، لا يتقدم إلىَّ عرسان للزواج، لا أستطيع التوافق مع صديقاتى وأخواتى».

إذا أحست الأخت بما يحيط بها من مشكلات، وما تحسه من آلام، فلا تلومن إلا نفسها، فلتبدأ بها، ولا تجعل الأطراف الأخرى أو من يحيط بها مصدرًا لهذه المشكلات، ولكن تجعلهم سبيلًا للخروج منها، بتغيير سلوكياتها وأخلاقها معهم، وسوف ترى ماذا فعل الدفع بما هو أحسن مع الناس، وسوف تجد آيات الله تتحقق أمامها كضوء الشمس الساطع، ولا تنتظر إلى أن يجتمع حول قلبها الذنوب، فيرون عليها، ولا تستطيع الخروج.

---

(١) مسلم فى الزهد والرقائق (٢٩٩٩/ ٦٤) بلفظ: «عجبًا لأمر المؤمن؛ إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له».

ما هو الطريق للإحساس بالذنب والعلم به؟ [الحواس – العقل – الآخرون].

يمكن أن تحس المذنبة بالخطأ؛ إما من خلال حواسها كأن ترى نفسها فى وضع خاطئ، أو تسمع ما تقوله من ألفاظ لا تليق، أو أن تشم الرائحة العطرة الشديدة تفوح منها فى أماكن وجود الرجال، ثم يكون هذا الإحساس جزءًا من الإدراك العقلى لها، وتبدأ فى التمييز وحساب النفس، ولكن هذا الأمر لابد أن يكون قائمًا على علم، وإلا مر مر الكرام.

ويأتى الإحساس بالذنب من خلال العلم به بعد القراءة أو الاستماع أو المشاهدة لمواقف مماثلة لسلوك تقوم به الأخت، فإذا بها ترى ما تفعله فى الآخرين، أو تسمع لخبرات مماثلة، أو تقرأ آيات من القرآن فينشرح صدرها لآياته، وينعم الله عليها بالفهم والإدراك لمعانيه، فتدرك – حينئذ – كم كانت مخطئة ومذنبة فى حق نفسها، أو غيرها، أو حق رب العباد، وهذان الطريقان جاءا من إحساس لمنبه خارجى خاص بالمذنبة، أو جاء من إحساس داخلى وإدراك عقلى بعد القراءة والفهم، والتمعن فى الآيات.

أما إذا جاء التنبيه من شخص آخر موجه للأخت المذنبة، فهو قد يكون فى شكل نصائح تعطى بشكل مباشر أو غير مباشر، وقد يكون فى شكل إرشادى أو تعليمى، يتم تدريسه كمادة دينية أو درس دينى، فتخرج منه الأخت بمؤشرات لتعديل سلوكها أو الإحساس بالذنب، وقد يكون فى شكل تعليقات من الصديقات فى المدرسة أو الجامعة أو الجيران، أو فى النوادى، أو غيرها.

وهذه التعليقات قد تكون مباشرة للأخت، أو غير مباشرة أثناء الحديث عن أخطاء الغير، وما أكثر هذه الأنواع من الأحاديث بين النساء خاصة، وقد تكون فى شكل لوم أو عتاب مباشر، مثلما تفعل الأمهات مع بناتهن، أو المعلمات مع تلميذاتهن، أو بعض الأخوات المخلصات.

وقد تكون فى شكل انتقادات لاذعة، توجه مباشرة للأخت من الزملاء أو الإخوة أو الأقارب، وخاصة من لا تكون هدفها إرضاء الله، أو الأخذ بيد أختها للفوز بالجنة أو النجاة من النار، وإنما هدفها الإحباط، أو إظهار قصور الغير، أو الغيرة، أو الحقد والحسد.

فى رحلة العلم بالذنب:

يتعين على الأخت المسلمة أن تعلم وتتعلم من القرآن الكريم والسنة المطهرة ما يأمرها به الله تعالى لتأتمر به، وما ينهاها عنه الشرع لتنتهى عنه، وتدعو الله، وتخلص فى الدعاء أن

يعلمها من القرآن ما تجهله، وأن يرزقها تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وأن يذكرها منه ما نسيت؛ فهو من الله الذى أنزل القرآن على رسوله ﷺ ليكون نورًا وهداية للعالمين إلى يوم الدين، وهو الذى يسره للذكر، وهو الذى أنزله بلسان عربى مبين، فإذا داومت على حفظ آية كل يوم منذ بلوغها، فستختم حفظه إن شاء الله تعالى فى العقد الثالث من عمرها، أو قبل ذلك بقليل، أو بعد ذلك بقليل.

فهيا يا أخت الإسلام لتدخلى زمرة الحافظين للقرآن؛ فيكون لك نورًا فى الدنيا وعلوًّا فى الآخرة.

وأنت فى رحلة الحفظ لنور الله وهدايته للبشر، عليك بدوسهين، أو كراستين؛ واحدة لونها أخضر أو أبيض، والأخرى لونها أحمر أو أسود، الكراسة البيضاء تكتبين فيها آيات الأمر والحث على عمل معين. والكراسة الحمراء أو السوداء تكتبين فيها آيات النهى أو التحذير والإنذار أو العذاب، وذلك بالتشكيل للحروف الأخيرة من الكلمات على الأقل، وأقصد من لون الكراسة التفكير بمضمون الآيات.

وأنت فى هذه الأوقات ستتذكرين ما قمت به من أعمال يرضى الله عنها، وأعمال ينهى الله عنها، وعند ذلك عليك أن تضعى علامات عليها؛ لتقيسى عليها أعمالك، وتكون هداية لك عند محاسبة النفس كل يوم، وإذا قابلك كلمات لم تفهمى معناها، فلا تتركينها هكذا، ولكن احرصى على معرفة معناها من كتب التفسير، أو من معجم الألفاظ القرآنية، ودوِّنى هذه المعانى فى هامش الكراسة بعد الإشارة إليها عند الآية.

احرصى على كتابة اسم السورة ورقم الآية عند نهاية الآية، وإذا وجدت آية أنت فى حاجة إليها لتزيدك فى الطاعة، أو تعينك على الإقلاع عن المعصية، فعليك أن تعيدى كتابتها بخط كبير، وتعليقها فى مكان على حائط يكون فى محط نظر أهل البيت .. هذا إذا كنت تستطيعين القيام بالعمل بمفردك، وبهمة دون فتور. أما إذا كنت تحبين العمل الجماعى فياحبذا فى العمل الإسلامى؛ فهو خير معين، فلتختارى أقرب الصديقات علمًا ودينًا وخلقًا وهمة، ولتعرضى عليها المشروع، فإذا وافقت فالعمل فى الحال وليس غدًا، ولتخلصا لله، ولتتضرعا له، وتطلبا منه العون والسداد، ولتخلصا النية له، ولتستقيما وعلى بركة الله. ولكن هل يمكن أن يكتمل العمل بدون اتباع سنة الرسول ﷺ.

ولتتذكرى أمر الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر:٧] .. فأنت هنا عليك أن تنظمى أوقاتك؛ للنيل من روضة الرسول ﷺ، وليكون لك بزة واقية من الغرق فى بحر المعصية.

فإذا كنت ستجعلين كل يوم آية، فاجعلى فى الأسبوع يومًا أو يومين لتنهلى من فيض السنة المطهرة، ولتتبعى الطريق السابق نفسه فى آيات الله، فيكون لك كراستان؛ واحدة لما أمرنا به الرسول ﷺ، وأخرى لما نهانا عنه الرسول ﷺ، وهكذا يكون عندك أربع كراسات بأربعة ألوان: الأبيض والأخضر للأوامر، والأحمر والأسود للنواهى. ولتتبعى الطريقة السابقة فى حساب النفس عما ائتمرت به، وعما انتهيت عنه، فإذا وجدت حديثًا موافقًا لسلوك، فلتركزى عليه، وإذا وجدتِ حديثًا معارضًا لسلوك قمت به، فلتكتبيه بخط كبير وتعلقيه فى مكان ظاهر للجميع، إلى أن تنتهى عن هذا السلوك بعون الله وتوفيقه.

فما أجمل أن تزرعى هذه الشجرة فى البيت! وما أجمل أن تزرعيها فى المدرسة أو الكلية، بأن تكتبيها على غلاف الكتاب أو الكراسة، وتكرريها مع زميلاتك، فأنت هنا لا تحصدى ثمرة واحدة، ولكن تكسبى محصولًا وفيرًا، ينفعك فى دنياك وآخرتك، ويرفعك فى الآخرة كلما قام به عبد أو أمة مثلك، فلك الأجر ولك أجر من عمل بها إلى يوم القيامة إن شاء الله. فهذا الفرق بين ما أكلت فأفنيت وما لبست فأبليت، وبين ما تصدقت فأبقيت.

وانتبهى أيتها الأخت المسلمة؛ فقد يكون الأمر بدون أداة أمر أو فعل أمر، وقد يكون النهى بدون أداة النهى، فلتفهمى من الآية أو الحديث، أن افعل أو لا تفعل فيكن لك إشارة للأمر أو النهى.

فإليك هذه الآية وهذا الحديث لتوضيح ذلك. قال تعالى فى سورة الروم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾[الروم:٧] .. فهى آية تحث المسلمة على التزود من علم الدنيا وعلم الدين؛ حتى لا تكون من الغافلين. وقال الرسول ﷺ: «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان؛ أى تقول: اتق الله فينا فإنك إن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا»(١).

فهو حديث ليس فيه أمر مباشر للإنسان، ولكن جاء الأمر من الإنسان لنفسه أو لأعضائه، وكأن الأعضاء تحاسب بعضها فى الدنيا، قبل أن تشهد على بعضها فى الآخرة.

---

(١) الترمذى فى الزهد (٢٤٠٧)، وحسنه الشيخ الألبانى.

وفى مرحلة العلم بالذنب - والتى تخوضينها بنفسك لتحصلى على أعلى شهادة وأسمى علم، بوصولك لأعلى الدرجات، وأفضل المنازل عند الله رب العالمين - ستجدين عثرات ومشكلات وأمراضًا، ربما خفيفة أو ثقيلة، فاجعليها منبهًا لك للتوبة. واعلمى أن الله قد جعل ذلك للمؤمن؛ لكى ينقيه من الذنوب، ويصحح له الطريق، ويخفف عنه خطاياه.

يقول ﷺ: **«ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه»**(١) [متفق عليه]، ويقول ﷺ: **«إذا أراد الله بعبده الخير، عجل له العقوبة فى الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر، أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة»** [رواه الترمذى](٢).

ولنفرح بالحديث الذى يبشر المؤمنين بلقاء الله بدون خطايا، يقول ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله، حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة» [رواه الترمذى](٣).

وفى مرحلة العلم بالذنب، عليك بإفساح صدرك لنصائح الآخرين، إذا كانت أعجبتك وإن لم تكن؛ فهى مؤشر آخر فى الرحلة، فإذا كان فيك ما يقولون فلتبدأى العمل، وإذا لم يكن فيك فلتبحثى عن السبب؛ فحتمًا لك علاقة به من قريب أو بعيد، ولكن لا تتركى ذلك كله وتتجاهليه، وإلا خسرت كثيرًا، وأطفأت نورًا فى شارع مظلم.

فما تحسبينه هينًا قد يكون عند الله عظيمًا، فأنت هنا محتاجة إلى ثمرة الصبر لتأكلى منها؛ لتكون غذاءً للنفس والبدن، وعونًا لك على الكبر والنفور، يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾[البقرة]. وفى سورة آل عمران يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾[آل عمران:٢٠٠].

وعليك أن تتحلى بأدب تقبل النصيحة، ومنة الشكر لله أن رزقك بمن ينصحك. يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾[البقرة] .. فتذكرى أن الناصح رزق لك من الله، وعون لك على الطاعة، فإن كان فيك ما يقول، فعليك بالأخذ

---

(١) البخارى فى المرضى (٥٦٤١، ٥٦٤٢)، ومسلم فى البر والصلة والآداب (٢٥٧٣/٥٢).

(٢) الترمذى فى الزهد (٢٣٩٦)، وقال: «حسن غريب من هذا الوجه»، وابن ماجه فى الفتن (٤٠٣١)، وحسنه الشيخ الألبانى.

(٣) الترمذى فى الزهد (٢٣٩٩)، وقال: «حسن صحيح».

بالنصيحة، وإذا لم يكن فهى تذكرة، وإن الذكرى تنفع المؤمنين، ثم تجزلى للناصح بالدعاء، بأن تدعى الله له بالجزاء الوافر بالخير «جزاك الله خيرًا»، وأن يكون هذا الدعاء خالصًا لله، وليس فيه ما ينغص نفسك أو يضايقها.

وتذكرى أن الشيطان هنا إليك أقرب، فالنفس لا تحب الناصحين، سيقول لك هل فرغ الناصح من نفسه لينصح الآخرين؟! ويقول لك: ألست بأفضل منها كثيرًا؟! من تكون هذه التى تنصحنى؟! ألم تسبب لى إحراجًا فى وسط المجموعة؟! ألم تكن نصيحتها العلنية فضيحة لى؟ ...؟ ...؟ ...؟

فأغلقى جميع هذه الأبواب فى وجه الشيطان، واستعيذى بالله من الشيطان الرجيم، واجعلى أول ما تفكرين فيه هو الله، وليس نفسك؛ فإنها أمارة بالسوء.

وللغير معك شارع آخر فى رحلة العلم بالذنب، فإذا كانت الأخت قد تقدمت إليك بالنصحة بدافع منها، فهذا جانب، أما الجانب الآخر، فهو على الرغم من أنه يأتى من الغير، إلا أن باعثه أنت، فأنت التى تحثينها على إعطائك النصيحة والعون، ولاحظى أنه إذا كانت فى الحالة الأولى وهى التى تتقدم فيها الأخت بالنصيحة لك قد تكون صديقة أو غير ذلك، وقد تكونى تعرفينها أو لا، وقد تكونى قابلتيها أو لا.

ولكن فى الحالة الثانية - وهى التى تطلبين أنت منها النصيحة - فغالبًا ما تكون هذه الأخت صديقة أو أختًا لك فى الله، أو أختًا مسلمة أحببت أن تتقربى إليها ومنها. ولذلك فإن النصيحة هنا ستجد طريقًا سهلًا ميسرًا للقلب، مهدها لها الدافع الذاتى فى الإصلاح للنفس، والفوز بالسعادة فى الدنيا والآخرة. فما أقوى هذا الدافع! وما أحسن هذه الهمة! فهلمى بها وتوكلى على الله؛ فطريقها سهل، ونتيجتها مضمونة، وشفاؤها عاجل، وربحها وفير إن شاء الله، فعلى بركة الله تقدمى، واختارى صفوة الأخوات، وأخلصى النية فى الإصلاح لله تعالى؛ فستجدين أن الله هو الذى يختار لك ويوفقك فى الاختيار، فهل عرفتيها الآن؟ أسرعى بالاتصال بها قبل أن تنشغلى وتنشغل مع غيرك ولا يكون لك معها نصيب.

وأنت فى رحلتك لست وحدك مذنبة فكل من يمشى عليها مذنب، ولكن خيرهم من أدرك وعَلِم، فاستغفر ربه، وأناب إليه؛ ليحظى بجنة ربه، ونعم أجر العاملين.

فعليك هنا ألا تكتمى العلم، بل تبلغيه؛ لتأخذى بيد أخواتك؛ لكى يسبحوا معك فى بحر

التوبة والمغفرة الواسع، وتذكّرى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾[البقرة].

وتذكرى - أيضا - أنك لا تبلغى هذا العلم لتتباهى به أو لتمارى به الناس ،أو ليقبل الناس عليك، ولكن لله تعالى؛ فقد قال الرسول ﷺ: **«من ابتغى العلم ليباهى به العلماء، أو ليمارى به السفهاء، أو تقبل أفئدة الناس إليه، أدخله الله النار»** [أخرجه الترمذى][(١)].

واطلبى من الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكون صدقة مقبولة لديه، وألا يخالطه عمل سيئ مِن مَنٍّ أو أذى. فتذكرى قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٤]. وقول الرسول ﷺ: **«ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن خمر، والمنان»** [رواه النسائى][(٢)].

ألا ترين كثيرًا من الناصحين يمنون على الناس أنهم كانوا سببًا لهدايتهم أو التزامهم أو تغير حياتهم؟! فلنقِ أنفسنا وأهلينا نارًا وقودها الناس والحجارة.

وفى رحلة العلم بالذنب، عليك - يا أختاه - أن تنهلى من روضة الأنبياء، التى ستجدين فيها كيف أذنب آدم أبو البشر، وكيف تاب، وكيف أذنب نوح وإبراهيم ويونس وموسى وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام، وكيف توجهوا إلى الله بالتوبة والاستغفار والتضرع إلى الله والدعاء إليه، وكيف تاب الله عليهم.

وهذه الطرق - سواء ما تعلق منها بك أو بمن حولك عمن يوقظونك أو ينقذونك من الذنب - أو ما تقومين أنت بإنقاذهم تساعدك على الإجابة عن سؤال: كيف تعرفين الذنب؟ أو ما هى الذنوب؟ أو طريقك للإحساس بالذنب والعلم به.

الاعتراف بالذنب والإحساس بالخسران المبين:

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف] .. قالها آدم وحواء بعد إحساسهما بالمعصية، فهل أحسستِ بالذنب، وكانت لديك القدرة على الاعتراف به؟

إذا أحسست بالذنب فهذه نعمة من ربك .. فقد تكونين أنت التى أحسست بها وقد

---

(١) الترمذى فى العلم (٢٦٥٤)، وقال: «لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، وحسنه الشيخ الألبانى.

(٢) النسائى فى الزكاة (٢٥٦٢)، وأحمد (٣٩٩/٤)، وصححه الشيخ الألبانى.

يكون غيرك هو الدافع لذلك، وربما تكون هذه المرحلة مهمة، ولكن المرحلة الأصعب هى الاعتراف بذنبك.

اعلمى أنك الآن ستدخلين معركة للعدوان الثلاثى: النفس والشيطان والناس.

فالنفس أمارة بالسوء، والشيطان وعد ربه بغواية الإنسان، وجعلها صراطه المستقيم، والناس وما فيهم من حب الذات، ورغبة فى الانتقام والثأر والكبر والظلم، ومن فيهم من الغاوين أتباع وجنود الشياطين، وغيرها من الصفات التى لا عاصم لنا منها إلا الله اللطيف الخبير: «اللّهم الطف بنا إنك أنت اللطيف الخبير، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم».

فهناك دفاعات نفسية وحوارات ذاتية للإقناع، بأن النفس لم ترتكب هذا الذنب، فتبدأ الأخت بإقناع نفسها بأنها على حق، وتأخذ فى إعطاء مبررات لما قامت به، وترمى الحمل على غيرها، كأن النفس ليس لها علاقة بالموضوع أو المشكلة، فترى المشكلة كأنها تمثيلية تعرض على الشاشة الصغيرة، وهى أمامها متفرجة سلبية، ليس لها القدرة على التأثير، ولكن تتأثر فقط.

وقد يكون هناك حوار ذاتى لانتصار النفس، وليس الانتصار عليها، فينهزم الإنسان أمام رغباته وآماله وأحلامه. وأمام ما فى النفس من فجور ونسيان - وقد تكونى واحدة من هؤلاء - إما أن تستطيعى أن تعترفى لمن أخطأت فى حقه من الناس، وإما أن تعترفى لله لمن أخطأت فى حقه من الناس، وإما أن تعترفى لنفسك فقط.

فإذا كنت الأولى فأنت إما أن تكونى مجاهرة بالمعصية فقط إذا لم تكن نيتك التوبة النصوح، وهنا ستجدين ارتفاعًا فى صفة الكبر، التى ما لازمت المسلم إلا وأدخلته النار، وحرمته من الجنة، فلا يدخل الجنة من كان فى قلبة مثقال ذرة من كبر، أما إذا اعترفت للناس أنك المخطئة فى حقهم - بنية الإصلاح والتوبة - فأبشرى؛ فأنت على الطريق المنشود.

ولهذا الاعتراف جوانب يجب مراعاتها، منها:

- الدعاء لله بالتوفيق والإصلاح.
- الصلاة ركعتين لقضاء الحاجة، تطلبين من الله فيهما التوفيق.
- قراءة ما تيسر لك من القرآن، ويا حبذا لو كان قلب القرآن (يس)؛ حتى يطمئن قلبك؛ فاللقلب هنا منزلة كبيرة.

- السرعة وعدم التسويف أو التأجيل؛ حتى لا تلهيك الدنيا وما فيها من مشاغل عن العمل.
- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم كثيرًا؛ فهو لك فى هذا الوقت قريب جدًّا، والتأكيد على قراءة المعوذتين.
- شحذ النفس لمواجهة دفعاتها ونزغاتها، وذلك من خلال الذكر والحوار الذاتى البناء ومحاسبة النفس.
- تجهيز أى هدية مادية تناسب من ستتوجهين إليه بطلب العفو؛ فهى مفتاح القلوب .. وهى مفيدة لك أيضًا؛ لاعتبارها رادعة لك عن الخطأ، واعتبارها وسيلة للعقاب المادى.
- الاستبشار بقبول المعذرة والتفاؤل بالصلح؛ فإن الوجه والابتسامة يصلح كثيرًا ما أفسده اللسان.
- حسن اختيار الأسلوب والألفاظ المناسبة لمن وقع عليه الظلم، والدعاء له.
- الدعاء لمن وقع عليه الظلم؛ فهو خير معين لتصفية النفوس.
- الإكثار من العمل الصالح لمن وقع عليه الظلم؛ حتى تشعرى أنه رضى وارتاح قلبه، وأصبح يدعو لك بظهر الغيب.
- شكر الله وحمده كثيرًا على هذه النعمة التى حباك الله بها.

أما إذا لم تستطيعى الاعتراف للناس بخطأك معهم، وآثرت الاعتراف لله، فإن هذا الاعتراف ناقص، ولكنه يغيب فى أحيان كثيرة؛ كأن يكون الشخص الذى ظلمتيه لا تستطيعى الوصول إليه؛ إما لوفاته أو لسفره أو لبعد المسافة بينكما، أو لعدم معرفة مكانه. فلك أن تكثرى من الدعاء والاستغفار، والتضرع إلى الله، وكثرة الأعمال الصالحة، والدعاء للشخص نفسه، وربما رد المظالم لأهلها، إذا استطعت الوصول إليهم.

ويفيد الاعتراف لله فى حالة عدم التأهل النفسى للمذنب، وعدم قدرته على المواجهة، وأن يخشى أن يثمر هذا الاعتراف بذنوب أخرى ومعاصٍ لا قبل له بها. فكثير من الأخوات عندما يواجهن الناس، تأخذهن العزة بالإثم، فتحول نفسها من معتذرة وطالبة للعفو، إلى متعدية وجانية على المظلوم، فتزداد إثمًا على إثمها وظلمًا على ظلمها.

ففى هذه الحالة – وإذا كنتِ من هؤلاء – فالأفيد أن تتوجهى أولًا بالدعاء إلى الله، وطلب العون منه للانتصار على النفس وكبرها وفجورها؛ فهو خالقها وأعلم بها، وهو أرحم الراحمين، وعليك بالصلاة ركعتين للحاجة، وأن تخلصى وتحسنى النية فى هذا العمل لله؛ حتى تستطيعى مواجهة الصدمات، وما سوف يقع عليك من لوم أو أذى أو هجران أو حرمان أو عقاب، وإذا وجدتى أن فجور النفس انتصر عليك، فأعيدى الدعاء والتضرع واللجوء والاستغفار لله تعالى والصلاة؛ حتى تطمئنى تمامًا إلى هدوء النفس وتقبلها الاعتراف بدون ظلم للنفس أو ظلم للآخرين.

كما يفيد الاعتراف لله فى حالة سوء خلق المظلوم، وعدم تحكمه فى نفسه، وعدم قدرته على التسامح، أو من يتصيدون للإنسان الأخطاء، ولا يلتمسون الأعذار، أو يكون صاحب سلطان ظالم، أو ممن يحبون أن تشيع الفاحشة بين الناس، أو غيرها من الصفات التى تكون حجر عثرة أمام تسامح الناس مع بعضهم، وتقبل الأعذار والرحمة بينهم. ففى هذه الحالة يصعب على المخطئ الإعلان والاعتراف بالخطأ؛ فهناك خطأ أكبر سيقع على جميع الأطراف، ولكن يظل اللجوء إلى الله وحده لا يلغى حقوق الناس إلا بعد ردها؛ فلتتجه الأخت باللجوء إلى الله مرحلة أولية، وتمضى بخطى حثيثة فى طريق إكمال التوبة، مع الإخلاص لله، وهنا سيكون عليها الاهتمام بهذه الجوانب:

- الدعاء لنفسها ولمن ظلمته أيضًا.
- الطلب من الله الواحد القهار أن يصلح حال من ظلمته، وأن يقبل معذرتها بصدر رحب.
- أن تتقرب إليه ببطء بالعمل الصالح لتأهيلها نفسيًّا.
- أن تستعين ببعض المخلصين التى تثق فيهم الأخت؛ ربما يساعدونها على التقرب، وربما يخففوا من حدة الموقف. ولكن إذا لم تحسن اختيار المخلصين، فإن الموقف سيزداد سوءًا، فلتدقق جيدًا، ولتستشر أيضًا قبل الاختيار.
- أن تحاولى معرفة بعض الصفات لمن وقع عليه الظلم، التى يمكن أن تكون مدخلًا لقلبه لتقبل الأعذار، وهذه الصفات قد تكون حب الثناء والمدح، حب الهدايا، حب أماكن الترفيه والتسلية، حب أولاده أو أصدقائه، فهناك مداخل كثيرة للبشر، والتوفيق من الله، عليه توكلنا وإليه ننيب.

- أن يتم عرض العذر والاعتراف بالخطأ بشكل غير مباشر، وربما على مراحل، إذا كان الأمر يستدعى ذلك؛ كأن تكون المشكلة معقدة، أو طال عليها الزمن وتراكمت عليها مشكلات أخرى.

ويفيد الاعتراف لله فى هذه الحالة، إذا وضعت الأخت فى اعتبارها أن الوقت يساعد على نسيان الهموم والمشكلات، وأن الإنسان غالبًا ما يحاول نسيان المواقف الصعبة فى حياته، وهى من الدفاعات النفسية التى يلجأ الإنسان إليها للحفاظ على توازنه وراحته النفسية والعصبية، ففى هذا الوقت التى تلجأ فيه الأخت لله، وتحاول إصلاح نفسها، سيكون الطرف الآخر، بدأت تهدأ عنده نوازع الغضب والكراهية، وبدأت مشكلات أخرى تطغى على الماضى وآلامه.

ولكن حذارى من هذه النقطة؛ فهى من مداخل الشيطان التى تعوق التوبة والاستغفار، وعليك أن تتخذيها مرحلة للعون على التوبة وليست لنسيانها، فأنت لا تطلبين التوبة من أجل الدنيا، ولكن من أجل يوم الحساب، يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، فما يمكن أن ينساه من ظلمتيه فى الدنيا لا يمكن أن ينساه فى الآخرة، ففى هذا اليوم يقول البشر: نفسى نفسى.

فإما أن ينقصك من حسناتك لترد إليه، وإما أن يعطيك من سيئاته لتطرح عليك فتطرحى فى النار – والعياذ بالله: «اللّٰهم إنا نسألك الجنة ونعوذ بك من النار».

وهناك طريق أخرى للاعتراف بالذنب، وما أكثر من يستخدمونها؛ فهو أرخص وأسهل على النفس، ولكن طريقها طويل وغير مضمون، وهو أقرب لعدم الاعتراف منه للاعتراف. ومن هنا كانت خطورته، ومعناه أن يحاسب الإنسان نفسه على ما ارتكب من الإثم فى حق نفسه وحق الله وحق الناس. فإذا وقف الحوار النفسى عند هذه الحالة واكتفى، فإن الشجرة زرعت فى أرض صلبة لا تنمو ولا تثمر، فأصبحت هشيمًا، وجاءتها الريح، فقذفتها فى مكان سحيق. فلا يكفى العلم بالذنب والإحساس به والاعتراف الذاتى، ولكنها بدايات ومراحل لا غنى عنها فى التوبة، ولا تغنى عنها.

ولكى يكون الاعتراف الذاتى مرحلة وليس نهاية، يجب ملاحظة:

- أن يكون هذا الاعتراف قائمًا على العلم الحقيقى، الواعى بالذنب وطبيعته.
- أن تكونى حكمًا عادلًا على نفسك، فلا تظلميها ولا تظلمك.

- أن تحكمى عقلك، وتجعليه قائدًا للموقف، قائمًا على الأصول الدينية.
- أن تختارى الوقت المناسب للمحاكمة؛ حتى يتم الاعتراف الكامل من النفس.
- أن تحيطى بالنفس من جميع الجوانب؛ لتجبريها على الاعتراف، ولا تلتمسى لها الأعذار، ولا تتبعى هواها.
- أن يقل اتصالك ومعاشرتك ومصاحبة للظالمين؛ فهم يُزينون العمل السيئ، ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا.
- أن تحاولى التقرب للصالحين، وتكثرى من الجلوس معهم، والاتصال بهم، ومعرفة سيرتهم وسلوكياتهم؛ إما منهم، أو من المقربين إليهم؛ فهم عون لك على الإصلاح الذاتى والاقتداء بهم.
- أن يتبع الاعتراف الذاتى شعور نفسى بالندم والخسران والحزن الشديد، وهو مؤشر واضح لنجاحك فى مرحلة الاعتراف؛ فهى تعنى الخروج من مرحلة إلى ما يليها، وحدوث التطور النفسى والإصلاح الذاتى المرحلى.

ويجب توضيح أن الاعتراف الذاتى مرحلة لا غنى عنها فى أى نوع من أنواع الاعتراف بالذنب، سواء أكان بين الإنسان وربه، أو بين الإنسان وغيره من البشر، أو بين الإنسان ونفسه.

- ولكن قد يكون هو نفسه نوعًا من أنواع الاعتراف بالذنب، وآخر مراحله، وهو ما نحذر منه، وما قصدناه فى شرحه فى البداية.

اتخاذ الشيطان عدوًّا [1]:

يقول تعالى فى سورة الأعراف: ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾ [الأعراف:٢٤]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:٦].

كان الشيطان عدوًّا لآدم منذ خلقه الله، فدفعه إلى معصية الله، واستغل طبيعة آدم الذى خلق من الطين، وعرف أن من طبيعته النسيان، فوسوس له ليخرجه مما فيه من النعيم والجنة، وتحديًا لله الواحد القهار، وكأنه يريد أن يقول: فهذا آدم الذى خلقته وفضلته على الملائكة

(١) تم الاستعانة فى هذا الجزء بكتاب البيان فى مداخل الشيطان (عبد الحميد البلالى)، مؤسسة الرسالة، د. ت.

وأمرتهم بالسجود له، ها هو يعصى أوامرك هو وزوجه حواء، وقال الشيطان: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ٤١﴾ [الحِجر] .. فهذا تحدٍّ واضح ومباشر لخالق الكون.

ويأمرنا الله تعالى أن نتخذ الشيطان عدوًّا، وجعله واضحًا ومبينًا لكل البشر: ﴿إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ١٥﴾ [القصص] .. فهذه الصفات أخبرنا بها الله لنتهيأ له نفسيًّا وعقليًّا وجسديًّا، ونعرف مداخله جيدًا؛ لنغلق جميع الأبواب فى وجهه، وننجوا من وسوسته وشره.

وعندما تضع الأخت المسلمة الشيطان فى وضعه الحقيقى، فسوف تجد أنها تستعد لمواجهة الشيطان كما يستعد الجيش لمواجهة العدو: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم﴾ [الأنفال: ٦٠]، ويكون هذا الإعداد من خلال التحصن بالعلم النافع وقوة الإيمان؛ فهو وسواس خناس، يقترب من الإنسان عند بعده عن الله، ويخنس عند ذكر الله، والتحصن بآياته.

كما يكون الإعداد بالتحصن النفسى وكبت نزغات النفس العدوانية والانفعالية، التى تمثل أرضا خصبة للشيطان وأعوانه من بنى الإنسان. ويتم تطهيرها بشكل دائم ومستمر من كل الشوائب والأمراض، مثل الحقد والكره والحسد والقطيعة، وغيرها، وإذا زادت هذه الأمراض، فمعنى ذلك أن تصاب الأخت المسلمة بمرض فقدان المناعة، وهو ما يشبه مرض الجسد الذى يسمى أيضًا بفقدان المناعة (أو الإيدز)، وتصبح الأخت كالجسد العارى المريض، الذى تتسارع عليه الأمراض وهى منهزمة، لا تستطيع المقاومة أو الانتصار. وتقف أعضاؤها عن أداء وظائفها: ﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف:١٧٩].

فإذا قلت لمن فتحت المناقشة: هذا حلال أو هذا حرام، فستقول لك: أنت على الحق، فقد ران على قلبها بالآثام، ولا تستطيع أن ترى نورًا أو هدى قبل أن تشفى مما فى صدرها.

وفى هذه الحالة ليس لديها أعظم من دواء القرآن: ﴿وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس:٥٧]؛ فالإكثار من قراءته وسماعه ودراسته وحفظه، وإدراك معانيه، هو الطريق للشفاء بإذن الله.

***

مداخل الشيطان

ولها بعد ذلك التركيز على معرفة مداخل الشيطان للإنسان، ومنها:

الأمر بالسوء:

يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة].

وهو هنا مشترك مع الإنسان فى الأمر بالسوء: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾[يوسف:٥٣].

فعلى المسلمة إذا فعلت السوء أن تتذكر الله سريعًا، وتلجأ إليه بالاستغفار والتضرع إليه، يقول الله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ ﴾ [آل عمران:١٣٥].

نسيان ذكر الله:

يقول الله تعالى فى سورة المجادلة: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾[المجادلة:١٩].

فعلى الأخت المسلم ألا تلهيها الدنيا – بما فيها من متاع – عن ذكر الله، يقول الله تعالى فى سورة المنافقون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون].

الغواية:

وهى الإضلال والإغواء، والجهل الناشئ عن اعتقاد فاسد، قال تعالى فى سورة الحجر: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحِجر].

فلا نجاة من غواية الشيطان للإنسان إلا بالإخلاص لله الواحد القهار.

والإخلاص يتضمن صفاء النفس بما فيها من شوائب وأمراض، والإخلاص فى طاعة الله أن تترك الرياء، وأن تخلص له فى القول والفعل. يقول الله تعالى فى سورة الأعراف: ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[الأعراف:٢٩].

نزغ الشيطان:

يوسوس الشيطان للإنسان، ويزين له ما يريد منه أن يفعله، يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾[الناس] .. وهنا الدواء، وهو الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم. يقول الله تعالى فى سورة الأعراف: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾[الأعراف]. وأن تتحرى الأخت قول كل ما هو طيب وحسن، يقول الله تعالى فى سورة الإسراء: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ۝٥٣﴾[الإسراء].

انتبهى أيتها الأخت المسلمة – وخاصة الصغيرات اللاتى يتميزن بالمرح وخفة الدم والفكاهة – فقد يكون ذلك مدخلًا من مداخل الشيطان، فبعض البنات يعتبرن الفحش من القول هزلًا، وأنه إزالة للفوارق بينهن، وبعض الأمهات والجدات يعتبرن الفحش – قول الصغير الذى يتميز بالتعبيرات غير اللائقة – شيئًا فكاهيًّا، فينشأ الطفل على التفوه بهذه التعبيرات، ولا يجد منها مفرًّا عند الكبر، فليس كل الوقت سيقبل الناس الفكاهة بالسيئ من القول، وليس كل الناس من يقبل هذه الطريقة فى الحديث، ومن ثم فالنتيجة أكيدة ونجاح الشيطان فى النزغ مضمون، فلا تفوتى عليك فرصة الإحساس والإدراك الجيد لنزغات الشيطان، فلتستعيذى بالله منه، ولتغلقى عليه كل الأبواب.

الوعد بالفقر:

يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾[البقرة:٢٦٨].

تذكرى هذه الآية عندما تطلب منك أختك استعارة بعض كتبك أو بعض أشياءك، فتجدى نفسك تنكرى وجود مثل هذه الأشياء؛ خوفًا عليها من الضياع أو الفساد، وربما لا تخافى عليها من الضياع فقط، ولكن تحدثك نفسك باستكثار هذا الخير عليها، وتخافين أن تتفوق عليك به. وإذا تركت نفسك لهذا الحديث الشيطانى الداخلى، فستجدين خوفًا على أشياءك من الضياع وخوفًا على نفسك من الفقر، وهنا تدركى أن الشيطان وراء هذا المرض. فلتنتبهى ولتستعينى بالله عليه وتستغفرى، ولا تقطعى الخير عن أختك، أو صديقتك، أو من طلب منك المساعدة، التى قد تكون (مالًا – ملابس – أدوات كتب ... إلخ) فلتنفقى ولا تخشى من ذى العرش إقلالًا.

التخويف:

يقول الله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾[آل عمران].

فكيف تخاف الأخت المسلمة ممن يخاف من الشيطان ويتبع خطواته؟! فلتنتبه إلى كل ظالم ومتعد وفخور ومتكبر، وكل من اتبع الشيطان وأصبح من أوليائه، فلا تخشى إلا الله، وتذكرى أن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر؛ فأتباع الشيطان يخطون خطاه، ويأتمرون لأوامره، وينتهون لنواهيه، فعندما يأمرهم بقطع الرحم يقطعونها، وعندما ينهاهم عن العمل الصالح؛ خشية الفقر أو استهزاء بالناس، أو ضياع الوقت، فإنهم ينتهون عنه. ولذلك فكبر حجم هؤلاء الناس وارتفاع منزلتهم فى الدنيا وغناهم وقوتهم، لا يجب أن يخوف المؤمنة أو تعظمه فى نفسها.

وإليك أمثلة تقرب لك ذلك:

- من تخاف لبس الحجاب؛ لأنها تخاف من ناظرة المدرسة أو مديرة العمل أن تطردها وتحرمها من الدراسة أو العمل.
- من تخاف من مدير العمل، فلا تصلى فى وقت الصلاة؛ حتى لا يؤذيها بالخصم من مرتبها أو الطرد.
- من رأت مدرسها يرتكب معصية، ولكن خافت أن تشتكى؛ خوفًا من التأثير على درجاتها.
- من امتنعت عن النهى عن المنكر لزوجها أو أخيها أو معلمها الذى يشرب السجائر؛ خوفًا من أذاه.
- من امتنعت عن الأمر بالمعروف لمعلمتها أو رئيستها فى العمل، بأن تدعوها للبس الحجاب.

فهذه أمثلة لمن يخافون ممن يخاف من الشيطان .. فلتدرك الأخت المسلمة، أن ذلك معيار لإيمانها بالله تعالى.

الأمانى والوعود:

قال تعالى فى سورة النساء: ﴿يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٠﴾[النساء].

فما أكثر ما وعد الشيطان البنات بالزينة ومناهم، ووعدهم بكثرة إقبال الشباب عليهن، وفرصة الإقبال على الزواج منهن، وما أكثر ما وعدهن الشيطان بالغش فى الامتحانات؛ ليحرزن درجات عالية، وما أكثر ما وعدهن بالعمل بما يغضب الله تعالى؛ لكسب فرصة عمل فى مكان مرموق .. فلتنتبه البنات والأخوات إلى الوعود الزائفة المضللة، التى تهوى بصاحبها ومتبعها فى أرذل الأرذلين، أو أسفل السافلين فى الدنيا وفى الدين.

الاستهواء:

قال تعالى فى سورة الأنعام: ﴿أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾[الأنعام].

هل أجريت هذا الحوار مع نفسك أو مع أخواتك أو صديقاتك: ﴿أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[الأنعام:٧١].

فكم من الفتيات بعد أن تختار طريق الإيمان والطاعة لله – سبحانه وتعالى – تجد إقبال الدنيا عليها، وإقبال بعض صديقات السوء، فإذا بها تجد نفسها فى صراع وحيرة .. إلى أين تذهب؟ إلى الأخوات فى الله أم إلى صديقات السوء – هى لا تراهم هكذا إلا إذا هداها الله – فإذا وجدت نفسها مع صديقات الدنيا والهوى والمتاع الزائل، فقد استهوتها الشياطين.

ولكن فلتدرك أن الإخلاص لله هو طريق الهداية والفلاح، ولتتذكر أننا أُمرنا لنسلم لرب العالمين، فالأمر ليس ماذا أحب وأهوى وماذا أريد، ولكن الأمر لله وحده، وهدى الله هو الهدى: «اللّهم اهدنا فيمن هديت وتولنا فيمن توليت».

الإيحاء بالمجادلة:

قال تعالى فى سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام] .. كثيرًا ما تلجأ بعض البنات اللاتى لم يلتزمن بما أمرهن الله من الطاعة لله ورسوله وحسن عبادته وتحسين أخلاقهن، فيلجأن إلى الأخوات اللاتى أنعم الله عليهن بالالتزام والطاعة؛ ليجادلوهن فى أمور الدين بغير علم، ولتعلم الأخت أن هذا من عمل الشيطان، ولتنتبه له جيدًا. ولا تخوض معهن فى الجدال الذى لا يأتى من ورائه الخير، وإنما غرضه الأساسى الحقد والحسد وإذلال

المؤمنات. وقد يقوم بهذا الجدال مدرس فى الفصل يجرى حوارًا من هذا النوع مع المحجبات، أو يقوم به أحد أقارب الأخت، وذلك أمام قريباتها وزميلاتها وأصدقائها، ويكون غرضه الإحراج، وإظهار ضعف الأخت المسلمة الملتزمة، والاستهزاء بها.

تحريم ما أحل الله:

قال تعالى: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾[الأنعام].

أمرنا الله بأكل الطيبات من الرزق، وحرم علينا الخبائث، وهذا يعرفه الكثيرات بحكم الفطرة، ولكن إذا ظهرت مدارس للتغذية والرجيم تمنع أكل لحوم الحيوانات ومنتجاتها من ألبان وجبن وقشطة وسمن وزبادى، وغيرها من المنتجات الحيوانية بحجة ضبط الجسم، وإعطائه نوعًا من الهدوء النفسى والروحى - فإن هذا النظام أو الرجيم ليس إسلاميًّا على الإطلاق؛ فقد حرم الله أنواعًا من الأطعمة الطيبة على اليهود عقابًا لهم، ولكن حرم على المسلمين الخبائث، أما الطيبات من الرزق فقد حددها لنا الشرع، وحدد لحوم الحيوانات الطيبة وحدد الخبيثة، وكان للمسلمين نظام فى الطعام اتبعه المصطفى ﷺ، فجعل الطعام ثلاثة أثلاث: ثلث للمعدة، والثلث الثانى للماء، والثالث للهواء[1] .. فليس للشبع مكان فى سنة الرسول ﷺ، وكان للرجيم الإسلامى المحمدى طريقًا سلكه المسلمون، فلا يأكلوا إلا إذا جاعوا، وإذا أكلوا فلا يشبعوا، فهذا سلوك ونظام يتحكم فى الكم والكيف بعدما عزل الأنواع الخبيثة المحرمة.

فلا لرجيم الحرمان، الذى لا يأتى من ورائه خير، فلا يجد متبعه إلا شرهًا بعد حرمان، فيقبل على الطعام، ويزيد وزنه أضعافًا مضاعفة، ولا لرجيم التحريم، الذى يحرم أكل الطيبات، بدعوى صحة الجسم، ونعم لنظام الرسول ﷺ وسنته فى الطعام.

وهذه أصوله:

- كلوا واشربوا ولا تسرفوا.
- صوموا تصحوا.
- ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه.
- لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع.

---

(١) ابن ماجه فى الأطعمة (٣٣٤٩)، وصححه الشيخ الألبانى.

وهناك حديث لرسول الله ﷺ، يذكر حينما يراد الاقتصاد فى الطاعة، ولكن له جوانب عديدة ودروس مفيدة، خاصة لمن يسرفون على أنفسهم، ويحكمون على أنفسهم بأحكام ليست من الإسلام فى شىء، فالمسلم مطالب بالالتزام بسنة الرسول ﷺ واتباع سبيلها. فعن أنس قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ؛ يسألون عن عبادة النبى ﷺ، فلما أُخبرُوا كأنهم تقالوُّها (عدوها قليلة)، وقالوا: أين نحن من النبى ﷺ، وقد غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبدًا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبدًا ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟، أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له؛ لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى»(١).

ولمثل هذا الحديث أن يصحح مسيرة واعتقاد بعض الأخوات، اللاتى يتخذن لأنفسهن طرقًا جديدة فى العبادة، لم يسنها لنا الرسول ﷺ، وهن يحسبن أنهن يحسنَّ صنعًا.

النجوى (إسرار الحديث):

قال الله تعالى فى سورة المجادلة: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾[المجادلة]. ويقول الرسول ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما؛ فإن ذلك يحزنه»(٢).

والنجوى كحديث سرى بين اثنين أو أكثر - فى حد ذاته - ليس حرامًا إذا كان كما أمرنا الله بالبر والتقوى، ونهانا الله أن يكون هذا الحديث لإثم أو عدوان أو معصية الرسول ﷺ، وتنبهنا الآيات فى سورة المجادلة إلى أن النجوى من الشيطان، وهو ما يعتبر إشارة لكل أخت أن تقلع عن هذه العادة أو السلوك، الذى لا يأتى من ورائه - عادة - الخير؛ فقلما يكون داعيًا للبر والتقوى. فإذا أسرت الحديث اثنتان، وكان معهما ثالثة، فإن الظن سيغلب عليها أنهما يتحدثان فى غير صالحها، فإن كان لابد للحديث، فلتحسن الأخت اختيار الوقت والمكان، وألا يثمر العمل عن بغض بين الأخوات، وزيادة لسوء الظن بينهن.

ألم يلفت انتباهك ما يحدثه الحديث بين أختين أو صديقتين فى ثالثتهما، من حزن أو

---

(١) البخارى فى النكاح (٥٠٦٣)، ومسلم فى النكاح (١٤٠١/٥٠).

(٢) البخارى فى الاستئذان (٦٢٩٠)، ومسلم فى السلام (٢١٨٤/٣٧).

غضب أو حديث داخلى، تظن فيه الثالثة ظن السوء فى الاثنتين؟ فكثيرًا ما يحدث الشجار بين الأخوات داخل المنازل، والمدارس، والنوادى، ويتبعه الخصومة والحقد والحسد.

ومن المفيد ألا تطبق الأخوات النجوى على كل المواقف، فلتدققى فى الآيات والحديث؛ فالنجوى نوعان: نوع محمود، ونوع مكروه؛ فالنوع المحمود: هو ما يكون نتيجته جميع أنواع الخير، وهو البر وتقوى الله، وهناك مواقف لا تكون النجوى مفيدة فقط، ولكنها ضرورية ومطلوبة؛ كالجلوس فى الأماكن العامة، مثل عيادة طبيب، ومحطة أتوبيس، وهذه مواقف توضح ذلك:

- وسائل المواصلات العامة، فمثل هذه الأماكن لا يصح الجهر بالحديث فيها ليسمعه من على اليمين واليسار، حتى إذا كان المتحدث والسامع من جنس واحد؛ فالحديث لا يخص إلا متحدثيه.

- ارتفاع الصوت فى الحديث بين الاثنين فى الندوات والمؤتمرات والاجتماعات وفصول الدراسة. فمثل هذا السلوك كثيرًا ما يؤدى إلى عدم تركيز الحاضرين، وحدوث الضوضاء اللافتة للانتباه، والمؤدية إلى عدم الانتظام، وعدم الاحترام للمتحدث [مدرس - محاضر...] وللسامعين.

- فى أماكن العلاج أو المستشفيات، حيث المرضى الذين يعانون من الآلام، أو يمكثون للراحة؛ فإسرار الحديث هنا مفيد لعدم الإزعاج، وهو واجب وضرورى.

- أثناء نوم الأب والأم أو الإخوة؛ فإسرار الحديث واجب ومفيد للحفاظ على الهدوء والسكينة فى البيت. ولكنه يجب أن يراعى نفسية من يستمع للحديث، وهو الطرف الثالث، وأن يلفت انتباهه لذلك، أما ما حذرت به سنة الرسول ﷺ فهو: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان من أجل أن ذلك يحزنه»(١).

اتباع هدى الله:

يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾[البقرة] نزل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ مغفورًا له، ولكنه معه أسباب الخطأ، وهى نفسه وطبعه وقلبه وهواه والشيطان، وقد ورثها منه بنوه، فكل بنى آدم خطاء، ولكن الله تعالى لم يتركه

(١) البخارى فى الاستئذان (٦٢٩٠)، ومسلم فى السلام (٢١٨٤/٣٧).

هكذا. وإنما أنزل آياته على رسله وأنبيائه بالهدى للناس أجمعين، ووعدهم أن من يتبع هداهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فى الدنيا والآخرة، فأصبح الخطاء مستغفرًا، وكان الله توابًا رحيمًا.

وكما أمر الله الناس باتباع ما أنزله من الهدى واتباع الرسل والأنبياء، أمرنا الله بالاقتداء بالصالحين الذين هداهم الله، يقول الله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنعام]، واشترط بمن يريد أن يهتدى أن يشرح له صدره للإسلام، يقول الله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ [الأنعام:١٢٥] .. أمر الله تعالى باتباع هداه، وعدم انتظار هداية من حولنا لكى نهتدى، يقول الله تعالى فى سورة المائدة: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾[المائدة:١٠٥]، وفى سورة يونس: ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴾[يونس:١٠٨].

أختاه هذه آيات بينات يأمرنا فيها الله – تعالى – باتباع دينه، وهو عنده الإسلام: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾[آل عمران:١٩]، والعمل بأركانه وهى: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا. والإيمان بالله: وهو يتضمن الإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم هدى للمتقين، يقول تعالى: ﴿الم ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾[البقرة].

وقد حددت هذه الآيات من هم الذين على هدى من ربهم، ولهذه الهداية أصول منها: أنها من عند الله، وأنها خاصة بكل مؤمن، وأنها مرتبطة بالقلب والجوارح، وأنها لا تقبل التسويف، وأنها لا ترتبط بهداية الغير، وأنها قائمة على أصول دينية لابد من تحقيقها.

فلتتذكر كل أخت على طريق الإسلام والإيمان:

- ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾[الإسراء:٩٧].
- ﴿ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾[الزُّمَر:٣٧].

- ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾[الأنعام:١٢٥].
- ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾[القصص:٥٦].
- ﴿قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ﴾[يونس:١٠٨].
- ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾[المائدة:١٠٥].
- ﴿فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا ٨٤﴾[الإسراء:٨٤].

فإذا كانت الهداية من الله تعالى، فيجب أن تتوجهى إليه بالدعاء؛ ليهديك إياها، ولتطمئنى عند الإحساس بالهداية أنه لو اجتمعت الإنس والجن على أن يضروك بشيءٍ، لم يكتبه الله عليك، لا يضروك بشيء، وأن من علامات الهداية حسن الإسلام، والدخول فيه بالقلب والعقل والجوارح، ولأننا لا نستطيع هداية أنفسنا، فإننا لا نستطيع هداية الغير، وإنما علينا الدعاء لهم بالهداية والصلاح، وأن المستفيد الأول والأخير من الهداية هو صاحبها، وأن تسيرى فى طريق الهداية دون النظر للوراء، فاطرحى كل العقبات وراء ظهرك، وإلى الأمام؛ فأنت فى طريق الهداية، وليس لك محطة تقفين فيها إلا الجنة إن شاء الله، فعليك بالدعاء وتقوية الإيمان: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾[آل عمران:٨].

العزم وعدم النسيان:

قال تعالى فى سورة طه: ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥﴾[طه:١١٥].

والعزم: هو الثبات والصبر والجد فيما يريده الإنسان.

وقد قيل على ابن آدم: إنسان؛ لأنه نسى، والنسيان دليل على نقص فى وظائف العقل، فلا يستطيع الإنسان أن يتذكر كل ما يحيط به من أحداث، أو كل ما اكتسبه من خبرات وعلوم؛ فجزء من هذه الأحداث والخبرات يتم نسيانها جزئيًّا أو كليًّا، وكلما تقدم بالإنسان العمر زادت صفة النسيان عنده، حتى لا يعلم بعد علم شيئًا. عن ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ: **«إن الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»**(١).

فليس كل من نسى ميعادًا معك يكون منافقًا، وليس كل من نسى إكمال عمل أُمُر به مقصرًا .. يا ليتنا جميعًا نلتمس لبعضنا الأعذار؛ فلها من ثمرات البر الكثير، منها الصفح

(١) ابن ماجه فى الطلاق (٢٠٤٥)، وصححه الشيخ الألبانى.

الجميل، فنعفو عن زلاَّت البعض، ولا نتصيد الأخطاء لبعضنا؛ فهى ممحقة للحب والألفة بيننا. فإذا اتبعنا سنة الرسول ﷺ فى التماس الأعذار، والتى تتعدى الخمسين عذرًا، فسوف لا نجد غير أنفسنا المقصرين، فلا نلومن إلا أنفسنا.

وعندما تضع الأم ذلك النسيان فى الاعتبار، فعسى ألا تكلف أبناءها ما لا يطيقون، ثم تحاسبهم عليه، وعندما تضع الأخوات ذلك النسيان فى الاعتبار، سيدوم الود والألفة والمحبة بينهن، ولا يجعلن الشيطان يدخل بينهن ويسعد بالفرقة والخصام.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[البقرة:٢٨٦]. أما إذا كان النسيان متعمدًا من النفس، فإن الجزاء سيكون من جنس العمل. يقول الله تعالى فى سورة طه: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾[طه].

فالإصرار على المعصية وتناسى آيات الله وأوامره ونواهيه، لا يدخل ضمن من وضعه الله عن المسلمين من النسيان، فهذا نسيان تعمد، نسيان بإدراك عقلى، نسيان مقصود لجهل الإنسان بعواقبه.

ألا تعلم كثير من الفتيات والبنات أن الصلاة فرض والصوم فرض والزكاة فرض، والحجاب فرض، وبر الوالدين والإحسان إليهما بعد عبادة الله مباشرة، وأن الظلم حرام والكذب حرام ... إلخ، ولكن تتناسى الكثيرات منهن، ويلهيهن نعيم الدنيا، أو مشاغلها، أو مشكلاتها عن طاعة الله ورسوله.

ألا تعلم كثير من المنافقات أنها تأمر بالمنكر وتنهى عن المعروف وتمنع الخير عن الناس؟! بلى إنها مدركة، ولكن نسيت الله. يقول الله تعالى فى سورة التوبة: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾[التوبة].

ألم تسمع كثير من البنات أمر الله لهن بالحجاب فى سورة النور؟ ألم تقرأ القرآن؟، ألم تسمع نصيحة أخت فى الله؟، ألم تسمع وترى برنامجًا فى التلفاز يعرفها فرضية الحجاب؟ ألم تر كيف أطاعت كثير من الأخوات ربها وأبين أن يكن من العاصيات؟ فمن أظلم من هؤلاء البنات والفتيات، يقول الله تعالى فى سورة الكهف: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾[الكهف:٥٧].

ألم تعلم البنات اللاتى يأخذن من الغش فى الامتحانات وسيلة للنجاح، أن من غشنا ليس منا؟

ألم تبكِ كثير من الفتيات اللاتى وقعن فى الخطيئة أو المعصية، وكان قولها: إنها لا تدرى كيف فعلت ذلك؟ نسين أنفسهن. يقول الله تعالى فى سورة الحشر: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾[الحشر].

أختاه لا تلهكِ أمور الدنيا ومتاعها؛ فالعمر يفنى بلا إنذار، فلتتخذى سبيل الله طريقًا لك فى الدنيا، ولتسعدى بهذا الطريق .. إنه نور لك فى دنياك وأخراك .. إنه الطريق المستقيم، فلا ترضى بغيره بديلًا، ولتسرعى الخطى؛ لعلك تبلغى العلا، ولتجعلى موت الشباب والأصحاء والأقوياء لك آية، فلا تنتظرى للغد؛ لعله يكون يوم الحساب.

ولنلقى نظرة على من سمعت وأطاعت والتزمت، وأخذت حظًّا من الثقافة فى دينها، وأنعم الله عليها بإلقاء الدروس أو العظات أو المحاضرات لغيرها؛ فإن لها مع النسيان نصيبًا يجب أن تتنبه له، ولتذكر قول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[البقرة].

فالبنات اللاتى أنعم الله عليهن بنعم لم ينعم بها الله على غيرهن أولى بشكر هذه النعمة والعمل بها، فالبعض يأخذن من آيات الله ليفتحن أبوابًا من النقد اللاذع والهجوم وسوء الكلام على غيرهن؛ لاعتقادهن أن هذا الأسلوب ربما يكون رادعًا لهن عن المعصية، وإذا بهن يصبحن مصدرًا للنفور وإحجام الناس عنهن، وتأخذ البنات فى تصيد الأخطاء للواعظات؛ حتى يرين أنهن أكثر خطأ منهن أو أكثر معصية، فيخسرن أنفسهن، ويخسرن غيرهن - ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد تزيد بعض الأخوات فى النصائح، وتتميز فى دعوتها، وتصل إلى درجة الإقناع، ولكن لا تتقن الإخلاص مع الله ونفسها، ويكثر بينها وبين من حولها من الأقارب من شجار أو مخاصمة، ويكفيها ما تجده من تجمع بعض الأخوات حولها لسماع ما تلقيه عليهن من الحكمة، فلتتذكر حديث الرسول ﷺ أنه قال: «إن أناسًا من أهل الجنة يطلعون على أناس من أهل النار، فيقولون: بم دخلتم النار؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم، فيقولون: إنا كنا نقول ولا نفعل» [رواه ابن عساكر فى ترجمة الوليد بن عقبة].

وقد تجدين بعض الأمهات ينصحن أولادهن بالبر لآبائهم وأمهاتهم، ولكن ينظر الأولاد فيجدون أمهم لا تبر أمها ولا أقاربها، فكيف تكون النتيجة؟!

وكم من أمهات ينصحن أولادهن بعدم الكذب، وتأتيها فيرى الأبناء أن أمهم تكذب على زوجها، أو تأمرهم بالكذب عليه فى الوقت الذى تأمرهم فيه بأن يكونوا صادقين فى القول!!

وكم من الأخوات طلبت ممن هم أصغر منها أن يحترموها ويقدروها، ولم تنظر إلى نفسها .. هل عطفت هى عليهم، وزرعت فى قلوبهم الحب لكى يبادلوها إياه ويعطوها قدرًا مرضيًا من الاحترام؟ فلا يصح أن أطلب من غيرى أن يعطينى الخير له، ولم أعطِ لهم رائحته.

أما إذا كان النسيان من الشيطان، فللقرآن معه آيات بينات علينا الانتباه، إليها يقول الله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام].

فعلى الأخوات أن ينتبهن أن الشيطان وراء الخطأ والنسيان، فعليهن الاستجابة السريعة لأوامر الله – عز وجل. وأن يقلعن عن المعصية فى وقتها، ولا ينتظرن إلى أن تكتمل حتى تبدأ الإقلاع والاستغفار، طالما جاءها ولو نور خافت. فإذا تركت الأخت نفسها فى طاعة الشيطان، واعتبرت أن الأمر بسيط فإذا به يستحوذ ويسيطر عليها؛ حتى يرى الباطل حقًّا ويرى الحق باطلًا. ثم ينضم إلى الشيطان ويصبح من حزبه، يقول الله تعالى فى سورة المجادلة: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾[المجادلة]. فلتحاربه بذكر الله فى السر والعلن، فى الليل والنهار، فى الراحة والانشغال، ولتتذكر أمر الله تعالى بالذكر فى سورة الكهف: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾[الكهف:٢٤]، ولتتذكر أن مما ينسينا الذكر الشيطان، فى سورة يوسف: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾[يوسف:٤٢].

اللّٰهم إنا نعوذ بك من الشيطان أن يضلنا، أو ينسينا ذكرك أو شكرك، أو حسن عبادتك. اللّٰهم لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

❋❋❋